الفصل الثالث

المبحث الثـاني

التحديات التي واجهها الاشوريون

١٦٠٠ - ٦٠٠ ق.م

دكتور فاروق ناصر الراوي
استاذ مساعد - جامعة بغداد
كلية الاداب - قسم الاثار

بحوزتنا الان وثائق مسمارية كثيرة كتبت باللغة الاكدية واللغات الاخرى مثل الاورارتية والحثية والميدية وغيرها وهي تشير،ضمن اشياء تاريخية وحضارية اخرى الى جوانب متعددة من اوجه وتعدد الأطراف العرقية والقبلية والقومية التي تحدث بلاد اشور في الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها • وكانت بمجملها تحديات حضارية اقترنت بالصراع العسكري والفكري ، والصراع من اجل البقاء والاستمرار في ركب الحضارة او الزوال • هكذا واجهت بلاد اشور التحديات التي قامت بها اقوام الحثيين والخوريين والميتانيين الذين ما انفكوا عن محاولاتهم الشريرة للنيل من بلاد وادي الرافدين وآشور على وجه الخصوص • الا ان الاشوريين الذين خبروا التاريخ والحياة تصدوا لتلك التحديات وشخصوا ان لا مناص لهم الا بتطوير قدراتهم الذاتية للحد من الاطماع ولكسر شوكة المتحدين •• فعملوا على الاستفادة من الثقل الحضاري للعراق القديم والنهوض بعد الكبوة التي المت بهم لمواصلة المسيرة من جديد • وصبوا جل إهتمامهم بالجيش وعملوا على تطوير اساليبهم السوقية والتعبوية • وشهدت البلاد ازدهاراً اقتصادياً كبيراً بفضل الفتوحات

العسكرية التي امتدت خلالها رقعة البلاد لتشمل المناطق التي تمتلك مواد الخام اللازمة والخيل التي هي عماد تطوير القوات المسلحة آنذاك .

وحارب تلك الاقوام الخورية والحثية الملوك الاشوريون الذين استطاعوا طردهم من البلاد واللحاق بهم الى مواطنهم الأصلية . ومن ابرز الملوك الاشوريين الذين حاربوا القبائل الجبلية الملك الاشوري آدد ـ نيراري الاول وشلمنصر الاول وتوكلتي ننورتا الاول . واستطاع الملك تجلات ـ بلاسر الاول (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق.م) وتوكلتي ننورتا الثاني (٨٩٠ ـ ٨٨٤ ق.م) من اخضاع السوباريين والقبائل التي تقطن جنوبي بحيرة وان . وتعاظم النفوذ الآشوري وتعاظمت معه منجزاتهم الحضارية واهتموا بارساء قواعد الدولة على اسس متينة الذي يمكنهم من ديسومة الانتصارات على تلك التحديات فعملوا على توحيد بلاد وادي الرافدين ومن ثم العمل على توحيد بعض الاقطار العربية الاخرى . فتعاظمت عليهم التحديات في المنطقة الشمالية الشرقية والشمالية وظهرت قوى جديدة في المنطقة وبخاصة اتحاد دويلات الاورارتيين في مملكة واتحاد بعض القبائل الميدية الى الجنوب الشرقي منها ، واتحاد جميع تلك الاطراف احيانا للنيل من الاشوريين .

واستطاع الملك الاشوري المنتصر أشور ـ ناصر بال الثاني وعبر حملتين متتاليتين على المنطقة من انزال الضربة القاصمة بتلك القبائل والدويلات واستقرت المنطقة بواسطة الحامية التي تركها هناك . وبذلك امن فتح منافذ الطرق التجارية التي تمر عبر تلك المنطقة . كما شهد عصره فتوحات اخرى كثيرة كان من نتائجها ضم عدد كبير من الاقاليم الى الامبراطورية الجديدة وقاد الحملات ضد الدويلات السورية ووصل الى البحر المتوسط كما قام بتأديب القبائل التي تقطن في الاماكن الجبلية شرقي دجلة . وبعد وفاته تسنم الحكم ابنه شلمنصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق.م) الذي لم يقل شأنا عن

ابيه • ومن اشهر حملاته تلك التي وجهها لتأديب القبائل التي تمردت عند الحدود الشمالية الشرقية للدولة الاشورية وتمكن من الوصول الى منابع نهر دجلة وأخمد تحديات كانت قد قامت للمرة الثانية في المنطقة المعروفة باسم اورارتو • ومن جملة اعماله واشهرها ذكرا في التاريخ معركة القرقار حيث واجه التحديات السياسية التي قامت بها بعض القبائل الارامية والقبائل العربية الموالية لهم •

ولعل اخطر التحديات التي واجهها هذا الملك هي التحديات العيلامية التي برزت عندما اخذت تتدخل في شؤون بابل وعملت كل ما تستطيع عمله لتخريب وحدة بلاد وادي الرافدين • ولأن لهذه الأحداث اثراً بالغاً على الطرق التجارية المارة الى الخليج العربي وبالعكس فقد قام الملك الاشوري بمساعدة الملك البابلي وقضى على التمردات التي قاموا باثارتها وفرض هيمنته على جنوب بلاد وادي الرافدين •

وواصل الملك شمشي ـ آدد الخامس (٨٢٤ ـ ٨١٠ ق•م) المسيرة وعلى النهج السابق لكنه جوبه بتحديات وتحالفات خلقها ملوك عيلام للنيل من الوحدة الوطنية وبعزم واقتدار استطاع هذا العاهل كسر شوكة المعتدين والمتحدين • ومن زمن هذا العاهل والعصور اللاحقة تعاظمت القوة العسكرية الاشورية مما سهل عليهم صد الهجمات وكبح جماح المتحدين •

وعندما اعتلى العرش الاشوري تجلات ـ بليزر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق • م) تمكن من ان ينهض بالبلاد ويعيدها الى امجادها السابقة فاوجد نظماً جديدة لادارة الدولة وطور الجيش عدةوعددا وأساليب تعبوية او سوقية• وفي السنة الثالثة من حكمه قاد حملة بنفسه الى الحدود الشمالية الشرقية حيث تحالفت بلاد اورارتو والدويلات المجاورة لها من ميديين ونائيرين وغيرهم وتمكن من الحاق الهزيمة بهم وجلب منهم الغنائم الكثيرة •• كما وجه حملة اخرى الى الغرب لاخضاع الدويلات السورية وصولا الى البحر المتوسط

وامتد نفوذه حتى صحراء سيناء وبذلك مهد الطريق امام الملوك اللاحقين للوصول الى مصر والعمل على توحيد اكبر رقعة من الوطن العربي .

وعندما تبوأ سرجون الثاني (٧٢٢ — ٧٠٥ ق.م) عرش آشور شهدت البلاد نهوضا حضاريا وسياسيا لم تعرف له مثيلاً من قبل، لكنه واجه التحديات الداخلية والخارجية . فعلى الصعيد الداخلي تزعم « الداهية الدبلوماسي » مردوخ — بلادان حلفا ضم العيلاميين والقبائل الكلدية والارامية التي تقطن في جنوب البلاد ، بعد ان عمل على اثارة وتحريض الدويلات السورية والفلسطينية ، للنيل من الاشوريين فتوجه اليهم سرجون بحملة استطاع من خلالها تفريق شملهم ثم توجه نحو الدويلات السورية والحق بها الهزيمة وتابع سيره باتجاه مصر وانتصر على جيش مصر في رفح وترك الحاميات الاشورية لتعزيز حدود الامبراطورية . وعاد بعد ذلك لتأديب العيلاميين معقبا بعد ذلك الى الحدود الشرقية والشمالية الشرقية وبالتحديد نحو الميديين وفرض عليهم الجزية عام ٧١٣ ق . م . وكنتيجة للاعمال العدوانية التي قامت بها مملكة اورارتو وبخاصة التحرش بحلفاء الاشوريين وتبديل ملوكهم بملوك عملاء لهم ، قام الملك سرجون الثاني بحملة عارمة عزوم شذب بها نفوذهم على شمال غرب سوريا . وواصل سيره الى الشمال قاصدا مقر ملك الاورارتيين هذه المرة في مدينة موصاصير (جنوبي بحيرة وان) فدخل منتصرا ومنيت بلاد اوراتو بهزيمة مرة . وبحدود سنة (٧١٠ ق . م) استطاع اعادة الوحدة الوطنية عندما قضى على مردوخ — بلادان .

وخلاصة القول فان هذا الملك العظيم كان ذا شخصية فريدة ، ومتمرساً على الاساليب القتالية التعبوية والسوقية . ولا عجب اذا ما عرفنا انه قتل في احدى المعارك التي دارت بينه وبين بعض القبائل المتمردة شمال غرب سوريا . وتدل النصوص المسمارية الكثيرة التي خلفها لنا على مدى اصراره على الوقوف بوجه التحديات التي تعددت في زمانه وتنوعت فمنها التحديات

العسكرية كالاورارتية والميدية والعيلامية والتحالفات التي قامت بها ومنها التحديات السياسية التي اضطلع بها مردوخ - بلادان وحكام الدويلات السورية والفلسطينية وملوك مصر • كما قام بالرد على التحديات الحضارية وذلك بجعل بلاد اشور قبلة للعالم القديم حيث اهتم بالعمائر وبخاصة بناء عاصمته الجديدة دور - شروكين (خرسباد) واعاد تعمير المراكز الحضارية الاشورية وبخاصة اشور ونينوى وكالح واربيل •

وفي الفترة ذاتها ظهرت تحديات اخرى للاشوريين في مقاطعتي كليكيا ومشكو وبخاصة قبائل السمريين والفرجيين التي طالما حاولت النيل من القوافل التجارية الاشورية وقبل وفاة العاهل الاشوري سرجون الثاني بسنة واحدة قام بحملة عارمة عليهم فأدبهم • وتغيرت بعد ذلك سياسة مشكو الخارجية ووقفت الى جانب بلاد اشور ، وعقدت معاهدة صداقة معها ، رحب بها سرجون الذي توفي في احد المعارك ، في تلك المنطقة ، التي خاضها مع السمريين •

على الرغم من كل الجهود التي بذلها الاشوريون لتوطيد السلام في ربوع امبراطوريتهم المترامية الاطراف ، نرى من خلال الوثائق ان الصراعات والتحديات السياسية والعسكرية والاقتصادية والحضارية بقيت مستمرة في الفترة الممتدة من ٧٠٥ - ٦١٢ ق • م • وكانت الاحداث تتجدد كلما اعتلى ملك جديد الحكم • وبلغت التحديات اشدها في عصور حكم الملك سنحاريب الذي خلف سرجون على الحكم (٧٠٥ - ٦٨١ ق•م) الذي واجه تحديات اعنف من الاطراف المذكورة اعلاه وبخاصة تحديات العيلاميين واولاد واحفاد مردوخ - بلادان وتحديات الدويلات السورية والفلسطينية والقبائل الارامية اضافة الى النشاطات التي لم تتوقف في منطقة اورارتو وعلى امتداد الحدود الشمالية الشرقية والتي قام بها الاورارتيون والميديون والقبائل التي تحالفت معهم • ويخبرنا الملك سنحاريب عن طبيعة الصراعات مع العيلاميين والخونة

بقوله « مردوخ ــ بلادان الثاني ملك بلاد بابل ، العدو الشرير ، الخائن المتمرد ، كرش الغدر ، فاعل الشر الذي يحسب المحرمات حلالا ، جلب شترك ــ ناخنتي العيلامي الى جانبه واهداه فضة واحجارا ثمينة طالبا منه المساعدة باستمرار وارسل لمساعدته امبابا قائد جيشه وعشرة قادة اخرين وثمانين الفا من حملة القسي والرماح وثمانمائة وخمسين عربة واثنتي عشر الفا ومائتي حصانا ... »
وفي اليوم العشرين من شهر شباط عام ٧٠٤ ق ٠ م قام سنحاريب بالرد على هذا التحدي وباساليب تعبوية ناجحة واسلوب سوقي متكامل استطاع القضاء على تلك التحالفات والتحديات ويقول بهذا الخصوص « ووثبت كالاسد الهصور وتوجهت الى كيش مع قوات جيشي الذين لايرحمون ، ضد مردوخ ــ بلادان الثاني ، فاعل الشر الذي رأى قواتي من بعيد وتملكه الخوف وهجر جميع قواته وهرب .. »

ولعل اشهر المعارك التي خاضها هذا العاهل الاشوري المعركة التي دارت شرق دجلة والتي حطم بها الجيش العيلامي في منطقة خالولي وبصدد ذلك يخبرنا الملك سنحاريب عن احداث عام ٦٩١ ق٠م قائلا : لقد خرج العيلاميون لملاقاتي كالجراد في فصل الربيع ، جاءوا مع حلفائهم لمنازلتي في المعركة ، وقد غطى التراب المثار من اقدامهم وجه السماء وتلبد كعاصفة هوجاء في يوم مثلج ، فوقفوا امامي في حالولي على ضفاف دجلة وعملوا على سد المنافذ لمنعي من توفير المياه ، وبعزم وامرة الاله اشور عصفت بهم كالاعصار فشتتهم واجبرتهم على التقهقر .. وقطعت رقابهم كما تقطع رقاب النعاج ... فتلطخت عرباتي واسلحتي بدمائهم العفنة .. وملئت جثث قتلاهم واشلاؤهم الارض واخذت تنهش بها العقبان (الحوم) ... » واكد الملك سنحاريب انه قتل في هذه الواقعة ١٥٠٫٠٠٠ من العيلاميين وحلفائهم .

اما على الجبهة الغربية فاعمال هذا الملك مشهودة ولا حاجة لتكرارها وبخاصة تدميره للتحديات السياسية التي قامت بها القبائل الآرامية والدويلات

السورية والفلسطينية التي تناقلت اخبارها الكتب ومنها التوراة • ان ما حل بصور وصيدا وعقرون ومملكة يهودا وبخاصة عام ٧٠١ ق • م معروف من خلال الكتابات المسمارية والتوراة وكتب المؤرخين اليونان وغيرهم • وقام في تلك الاونة بحصار مدينة اوشليم الشهير وهو الذي استطاع بعزمه من الوصول الى جزيرة قبرص وفرض هيمنته على البحر المتوسط وصولا الى بعض الجزر الايجية التي كانت حلقة الوصل مع اليونان، والاوربيين بشكل عام •

كما قام باخماد الفتن والقضاء على التحديات السياسية والعسكرية والحضارية المستمرة على حدودنا الشمالية والشمالية الشرقية من خلال حملته التي قام بها عام ٦٩٩ ق • م واستمرت اعماله التأديبية في تلك المنطقة حتى عام ٦٩٥ وتوجه بعد ذلك على كليكيا واخضعها ايضا وبذلك اعاد أمجاد والده سرجون •

وواجه خليفته اسرحدون (٥٨٠–٦٦٩ ق•م) تحديات غاية في الخطورة وعلى الصعيد الداخلي والخارجي • فعلى الصعيد الداخلي اغتيل والده سنحاريب من قبل اخوته وبعض مثيري الشغب• وما ان بادر بالهجوم على ذلك التحالف حتى انهزم الجند الذين ساندوا اخوته والمتآمرين وانضموا اليه ورحب به الشعب وتوجه ملكا على البلاد في عام ٦٨٠ ق•م • وبقيت الامور معلقة ومعقدة اكثر في الجنوب وذلك للتدخلات العيلامية المستمرة التي طالما عملت على هدم الوحدة الوطنية وبشتى الطرق مستغلة كل الفرص التي قد تفيدها في تحقيق مآربها • وبسياسة حكيمة استطاع كسب ود البابليين والقبائل الكلدية •

اما على الجبهة الغربية التي ثارت ضده ايضا فقام بحملة عارمة ضدها وصل بها الى اماكن ابعد من التي وصل اليها سنحاريب كما انه اعد العدة للزحف

على مصر ووضع حد لتدخلاتها في اثارة الدويلات والقبائل السورية والفلسطينية • فتوجه بحملة عام ٦٧٥ ق • م استطاع من خلالها طرد الغزاة الاثيوبيين الذين احتلوا مصر ووضع حاكماً مصرياً بدلا منه (سنة ٦٧١ ق•م) كما قام بتعيين الموظفين الآشوريين الممثلين لمصالح بلاد اشور والذين اعلنوا ان اسرحدون اصبح ملك مصر العليا والسفلى وجزء من اثيوبيا وجزء من ليبيا • ولكن ذلك لم يدم اكثر من سنتين حيث عاد الاثيوبيون وبالتحالف مع بعض الامراء وعملوا على طرد الحامية الاشورية • وبناء على ذلك جهز اسرحدون حملة اخرى على مصر (٦٦٩ ق • م) لكنه توفي في الطريق •

اما على صعيد الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية والشمالية الغربية فلقد قام بمحاربة الاورارتيين والسمريين والاسكيثيين والميديين وتوصل عبر صده لتلك التحديات الى عقد المعاهدات معهم • واشهر تلك المعاهدات معاهدته مع الميديين • الذين طالبوه بالاستناد اليها لمساعدتهم ضد قبائل المانناي جنوب بحيرة اورميا وضد حركات التمرد الداخلي التي نشبت عندهم فما كان من اسرحدون الا مد يد العون لهم وقابلوه ومن اتى بعده من ملوك بنكران الجميل وعملوا الشرور الى ان تمكنوا من القضاء على الامبراطورية الاشورية •

ان من ينعم النظر في السجل التاريخي للعيلاميين، وللاقوام التي استوطنت المناطق الشرقية والشمالية الشرقية المتاخمة للعراق ، يتلمس مدى تهورهم وجحودهم ، ففي الوقت الذي ما برحوا ينهلون من معين التراث الثقافي والحضاري لبلاد وادي الرافدين ، ويقتبسون الكثير من مقوماته الحضارية لبناء ثقافاتهم الفرعية ، كانوا يردون على ذلك الجميل بالنكران والعدوان • فبدلا من مواصلة جهودهم من اجل البناء والتقدم ، سعوا للالتفات على مواطن الحضارة الاصيلة والانقضاض عليها ، فنجدهم قد انغمسوا دوما في العصيان والتحدي والقيام بتجاوزات لا مبرر لها ، ان هي دلت على شيء فانما تدل على

نكرانهم الجميل وما يضمرونه من شر وحقد دفين • فمضوا في غيهم بتحين اي فرصة لشن الهجمات المستمرة على الرغم مما اصابهم من نكبات وويلات ردا على اعتداءاتهم • الا انهم لم يتعظوا منها بسبب ما كانوا او صاروا عليه من حالة نفسية وعقلية متردية • التي تنم عن حالة مرضية تتمثل بالتخلف العقلي للقائمين على امور دولهم الذين اصبحوا مخبولين ومصابين بضرب من الجنون والهوس •

ان مثل تلك الحالة النفسية والعقلية المرتبكة التي لازمت المهيمنين على شؤون بلاد عيلام والبلدان القاطنة عند حدودنا الشمالية والشمالية الشرقية جعلتهم يكونون بعيدين عن تحكيم العقل والمنطق السليم في تدبير شؤون بلادهم • لذا نجدهم قد واصلوا اعتداءاتهم واستمرارهم في العصيان حتى في العصور الاشورية وخاصة عهد الامبراطورية الاشورية الحديثة التي اضحت سيدة الشرق القديم والتي امتلكت قواعد عسكرية قاهرة ومدمرة اهتزت منها كل البلدان • وكان الوقوف بوجه مثل هذه القوة الضاربة يعد ضربا من ضروب الجنون لانه يعني الدمار والزوال ، لكن العيلاميين والمتحدين الاخرين اختاروا مثل هذا الطريق الجنوني فقاموا في محاولات يائسة واكثر من مرة لخلق الاضطرابات والقيام بتجاوزات على حدودنا الشرقية والشمالية الشرقية • لكن تلك المحاولات كانت نتيجتها الحتمية الفشل التام ومالحق بهم من خسائر ماحقة لازمت جميع اعمالهم العدوانية والتخريبية • وقد حفلت الكثير من الوثائق المسمارية باخبار تلك التحديات والصراعات • وترك لنا الملوك الاشوريون في حولياتهم تفاصيل كاملة عن حملاتهم العسكرية لصد التجاوزات ولكسر شوكة المتحدين المعتدين • ولعل من ابرز تلك الوقائع الحربية ما خلفه لنا الملك الاشوري المنتصر اشور ــ باني ــ بال ٦٦٨ ــ ٦٢٦ ق • م • وانه لمن المفيد ان نحاول هنا استعراض وقائع بعض الحملات التي قام بها هذا الملك المنتصر والتي تصدى فيها المتحدين •

بدأ هذا العاهل حملاته العسكرية بحملة تأديبية ومناورة عسكرية على اطراف الحدود العيلامية ثم توجه نحو الجبهة الغربية لاستكمال ماشرع بالقيام به اسرحدون وهو وضع حد للتحديات المصرية التي كانت تمولها اثيوبيا وعقد لواء النصر في تلك الحملة للملك الاشوري الذي سيطر على ممفيس وطيبة ووضع الحاميات العسكرية لضمان ونشر الامن في البلاد . لكن التحدي استمر وحاول بعض الامراء ومن دعمهم من الاثيوبيين طرد الاشوريين لكنهم جوبهوا بحملة ثانية سنة ٦٦٣ ق . م . وواصل الاثيوبيون والاميونيون والكاريون وجلهم من الاجانب تحدياتهم الى ان استطاعوا سنة ٦٥٥ ق.م فصل مصر عن بلاد اشور وربما يرجع السبب لانشغال اشور بانيبال بالتحديات الجديدة التي واجهته في سوريا وفلسطين والبحر المتوسط من جهة . ومن جهة اخرى العدوان العسكري المتكرر الذي اضطلعت به عيلام والدول الواقعة عند اطراف حدود الامبراطورية الاشورية الشمالية والشمالية الشرقية والشمالية الغربية .

ومنها ما واجهه عقب اثارة المشاكل الحدودية وقطع طرق القوافل التجارية والتحرش بالحلفاء الذي قام به السمريون ضد الليديين حلفاء بلاد اشور فجرد حملة عليهم فأدبهم .لكن حاكم ليديا قام بمساعدة الفراعنة المصريين عند تصديهم لبلاد اشور فنقض العهد الذي كان قائما بين بلاد الليديين والاشوريين . وبعد هذا الحدث المؤسف اغتنم السمريون الفرصة فانقضوا على الليديين واسقطوا مملكتهم (سنة ٦٥٢ ق . م) في شمال غرب سوريا .

وحدث في نفس الفترة ان قام شمش ـ شوم اوكن شقيق الملك اشور بانيبال ، وبمساعدة وتحريض العيلاميين باعلان التمرد ضد اخيه لفصم عرى الوحدة آنذاك .. لكن ذلك لم يثن عزم الملك الاشوري من توجيه حملة لتأديب السمريين في منطقة كليكيا وبالفعل استطاع من اسقاطها وجاء حكام ليديا مرة اخرى طالبين الصفح عنهم وقدموا فروض الطاعة للملك .

الاشوري ويبدو ان هدف اشور بانيبال من مصادقة الليدين هـو تقوية الحاميات الاشورية التي كانت تنتشر في المنطقة وحتى اواسط وغرب اسيا الصغرى • وتفرغ بعد ذلك للقضاء على تمرد اخيه وحلفائه فوضع حدا لذلك وقضى على كل الشرور التي قامت بها عيلام في بابل •

وفي السنوات المحصورة بين ٦٥٩ ــ ٦٥٧ ق • م استطاع هذا الملك الوقوف بوجه التحديات الميدية الذين ما انفكوا يشجعون قبائل الماناي على الحدود الايرانية العراقية الشمالية الشرقية للتمرد ضد بلاد اشور فوجه اليهم حملة قادها بنفسه الى عاصمة الماناي المحصنة فدمرها وواصل انتصاراته متوغلا في بلاد فارس ليضع حدا لسياسة ميديا فالحق الهزيمة بهم عام ٦٥٨ ق • م وجلب الغنائم منهم •

وفي عام ٦٥٧ ق•م اتحد الاورارتيون والاسكيثيون المحاذون لهم من جهة الشمال والجهة الشمالية الغربية ضد الاشوريين فأوجدوا تحديا جديدا ضد الملك اشور بانيبال فعقد النصر له وبقيت الحال مستقرة في تلك المنطقة بواسطة الحاميات الاشورية التي وضعت هناك • واخذ الاورارتيون والاسكيثيون يرسلون الهدايا والرسل كشارة لطاعتهم واحترامهم لمصالح بلاد اشور ومصالحهم في المنطقة •

التحديات العيلامية زمن حكم الملك اشور بانيبال :

اتخذت التحديات العيلامية اشكالا متعددة منها تحريض سكنة بابل لفصم عرى الوحدة الوطنية ومنها استغلال فرص حدوث الصدامات العسكرية مع الميديين والاورارتيين وقبائل بارسو (الفارسية الى الجنوب الغربي من الميديين) وغيرها لتوجيه ضربات الى الحدود الاشورية فجرد عليهم حملة عام ٦٦٧ ق • م • حيث يخبرنا هذا الملك المنتصر عن احداثها قائلا « توجهت الى بلاد عيلام •• وكالاعصار الهائج ضربت البلاد باجمعها وقطعت رأس ملكهم

تيومن الشخص المضحك الذي بث الشرور، وذبحت عددا لا يحصى من مقاتليه واسرت بعضهم الاخر وقد ملئت جثث مقاتليه مدن عيلام ٠٠ وجعلت دماءهم تجري كالسيل في نهر اوليا (فرع الكرخا) الذي اصطبغت مياهه باللـــون الاحمر ٠٠ وكأنه الصوف المصبوغ » ٠ ونصب بعض الملوك الذين لجئوا اليه على عرش عيلام وعاد الى نينوى ٠

الا ان اولئك الحكام والامراء والملوك الذين نصبهم سرعان ما انقلبوا عليه واخذوا يعملون كاسلافهم الشرور من اجل فصم عرى الوحدة الوطنية مستغلين كل فرصة سانحة وشجعوا اخيه ـ كما مر بنا ـ شمش ـ شوم ـ اوكن على الثورة ضده فمزقهم وجعلهم يموتون شر ميتة « ووضع حدا لنهاية حياتهم بالنصال الحديدية وبالنـــار المحرقـــة » ٠ ويستطرد قائلا كيـف ان الحاكم العيلامي تاماريتو الذي سبق ونصبه اشوربانيبال حاكما ٠٠ قد هرب وللمرة الثانية الى بلاد اشور « انه رغم تعالي تاماريتو وما قام به من اعمـال تحريضية ضد اشور بقوله : ان الاشوريين هم الذين ذبحوا ملك عيلام امام اعين جنده ، وان الملك العيلامي كان يقبل قدم ملك بلاد اشور ٠ الا ان هذا الملك (تامارتيو) واخوانه وعائلته ومن انحدر من بيت ابيه اضافة الى ٨٥ من من نبلاء عيلام ممن هربوا من ذلك (الوضع المتردي) عراة زاحفين علـى بطونهم وهم يقدمون الى نينوى » وبعد ان يستعرض الحالة المزرية التي كانوا عليها يقول اشور بانيبال « ان تاماريتو قدم عليه وقبل قدميه وكنس الارض التي تحتها بلحيته وعد نفسه خادما له متضرعا اليه لاجل استعادة عرشـــه » وهكذا وانطلاقا من شفقة وعطف هذا الملك الجليل اشوربانيبال عفى عن اثام تاماريتو واعماله الشريرة فاواه واسكنه هو ومن معه في قصره الملكي ٠ واخذه معه الى عيلام واعاده على عرشها ملكا ٠

وكعادتهم تنكروا للجميل ونسوا المعروف وبضمنهم تاماريتو الذي يقول عنه اشور بانيبال « اما تاماريتو الذي قبل قدمي الملكية فلقد جلبته الى سوسة

وجعلته ملكا عليها لكنه نسي معروفي الذي عملته من اجله وكيف ارسلت اليه النجدات واجتثثت الشرور من بلاده • فلقد قال (اي تاماريتو) عند محاولته التصدي لجيشي : « بان شعب عيلام مهما اختلفت آراؤهم يجب ان يواجهوا الاشوريين محتلي ومخربي عيلام » • ان أشور وعشتار اللذين هما دوما بجانبي وكالعقد يحيطان برقبة شعبي نزعا قلب المتمرد الشرير تاماريتو وانزلاه من عرشه •• » فانتصر اشور بانيبال عليه واستولى على المدن الكثيرة وجلب الغنائم منهـا •

ولكن هل اتعض اولئك الحكام مما حل بهم ، ابدا فلقد حاولوا بشتى الطرق والاساليب الملتوية النيل من بلاد وادي الرافدين• وحفظت لنا النصوص المسمارية سجلا خالدا باعمال الملوك والقادة المتميزيـن ، ومن جملة مادونته الوثائق حملة اشور بانيبال الثامنة التي نلخصها بالاتي : « في حملتي الثامنـة وبامر الاله اشور والالهة عشتار ، اعددت جيشي وسرت مباشرة لملاقاة ملك عيلام اومانلداسي حيث استوليت على بيت ــ امبي التي كنت قد حررتها في حملتي السابقة اضافة الى ذلك فاني فتحت بلاد راشي ومدينة خمانو Ḫamanu وما حولها فلما سمع اومانلداسي ملك عيلام بذلك ولخوفه من الاله اشـور والالهة عشتار اللذين كانا بجانبي هرب الى مدينة مداكتو ومنها الى مدينة دور ــ او ملاسي عبر نهر اديدي (نهر الكرخا) لتهيئة نفسه وتحصينها ضدي• وفي ذلك الوقت حكمت قبضتي على مدينة ناديتو الملكية وما حولها اضافة الى بيت ــ بوناكو وكذلك مدينة خرتبانو وتوبو وشوشه ودن شـاري •• (وكثير غيرها) كل هذه المدن الملكية قد دحرت اضافة الى المناطق المجاورة » •

ويذكر لنا الملك المنتصر كيف عبر جنده الصناديد نهر اديدي الهادر بعد شيء من التردد في البداية ، الا ان عزم الجند وبمساعدة الالهة عشـتار التي اوحت لهم في (الحلم) « انني سأذهب واعبر النهر امام الملك اشوربانيبال الذي

صنعته انا » وهكذا وضع الجند ثقتهم بقائدهم وبالالهة وعبروا النهر الهائج بسلام » •

ثم يستطرد اشوربانيبال قائلا : « هكذا فتحت اربع عشرة مدينة ملكية محصنة وعددا كبيرا من القرى التي لا حصر لها اضافة الى مناطق اخرى من بلاد عيلام • ونظرا لعنادهم وتحديهم لقواتي فلقد قمت بحرق تلك المدن وعمل سيفي في رقاب محاربي الملك المهزوم اومانلداسي ملك عيلام الذي هرب عاريا الى الجبال ، وقبضت على المدن الرئيسة الاخرى مثل بانونو ومنطقة تاسارا وعشرين قرية تابعة لمدينة خوينر على حدود خيدالو وبا شيمو وما حولها من قرى حيث استسلم سكان تلك المدن وعمل سيفي في رقاب العصاة منهم • وحطمت الهتهم وحملت الغنائم والاسرى الى بلاد اشور • وفي خلال هذه الحملة بلغ توغلي في بلاد عيلام مسافة ستين ساعة مضاعفة وكان النصر حليفي دوما • وفي طريق عودتي منتصرا استوليت على شوشة ، العاصمة الرئيسة وبامر من الاله اشور والالهة عشتار دخلت قصورها واحتفلت بالنصر • واخذت الغنائم التي من ضمنها الذهب والفضة الذي سلبوه من بلاد سومر واكد وبلاد بابل « اجل ذلك الذهب والفضة الذي سلبوه خلال غزواتهم السبع السابقة وكذلك ما دفع به شمش ــ شوم ــ اوكن وملوك بلاد اكد السابقين الى عيلام من اجل تعزيز اقتصادها ــ بالاضافة الى اعداد كبيرة من عدة والات الحرب الصالحة للاستعمال ومن كل الانواع •• هذا اضافة الى الاثاث المنقولة والعديد من الخيول والبغال المجللة بالفضة والذهب •• كل ذلك حملته الى بلاد اشور » •

ويدون الملك اشور بانيبال غنائمه وما حل بقصور ومعابد وتماثيل الالهة وتماثيل الملوك الذهبية والفضية ويضيف قائلا : « دمرت معابد عيلام باجمعها واحرق جندي المناطق المقدسة عندهم ومقابر اولئك الذين عصوا الاوامر •• وكانوا مصدرا للشعب ضد اجدادي •• ودامت حملتي اكثر من ٢٥ يوما

حطمت مدن عيلام ونثرت فوقها الملح والاعشاب (دلالة على خرابها الذي لا تقوم له قائمة) .. » ويعدد الغنائم التي « وصل عددها عدد الجراد » واخذ بعض التراب من كل مدينة كاشارة على النصر المؤزر والفأل الحسن . ويؤكد انه في خلال شهر « وصلت الى الحدود القصوى لبلاد عيلام فحياني الناس في السهول بهتافات النصر ونمت هناك وكأنني في بلدي » .

ويحدثنا بعد ذلك عن مصير الاسلاب التي اخذها العيلاميون وبخاصة تماثيل الالهة فيذكر في هذا الشأن « اما الالهة عشتار Nanā التي كانت غاضبة لمدة ١٦٣٥ سنة والتي اجبرت على الاقامة في عيلام ، البلد الذي لا يليق بها هذه الايام فانها عندما اسمتني هي والالهه الاخرى من ابائها لحكم البلاد أعانتني على اعادتها الى مكانها الاصلي وبهذه الكلمات خاطبتني ، اجل انه اشور بانيبال الذي سيخرجني من عيلام المذنبة الشريرة وسيدخلني الى أي أنا Eanna وهكذا عمدت على حمل هذه الالهة واعادتها الى الوركاء مكانها الخالد وفي معبد أي خيليانا Eḫilianna الذي تحبه » .

ويمضي اشور بانيبال ليحدثنا عن مصير بعض الحكام العيلاميين فيقول : « عندما رجع اومانلداسي ملك عيلام من الجبال الى مداكتو ورأى بام عينيه ما حل به من دمار وخراب فأنه اخذ يبكي . اما بالنسبة (للعميل) نابو ـ بيل شوماتي حفيد مردوخ ـ بلادان الذين حالف العيلاميين ووضع ثقته في ملوك عيلام اومانيكاش وتاماريتو وندابيكاش ، واومانلداسي فلقد ارسلت في طلبه ولكنه عند سماعه الخبر امر مرافقه وحاميه بان يقتله فضرب احدهما الاخر بخناجرهم الحديدية وماتا . وهكذا ارسلا لي من قبل ملك عيلام » .

اما بالنسبة لبائي الذي استلم مقاليد الحكم بعد اومانلداسي « فعند سماعه باخبار انتصاراتي فر من عيلام وجاء ليركع تحت اقدامي طالبا العفو » .. شأنه شأن بقية المتمردين من القبائل التي وضعت ايديها بايدي العيلاميين .

هذه بعض الصور مما حفظته لنا الكتابات المسمارية والوثائق الكتابية الاخرى ، والمنحوتات والمرئيات الجدارية التي صورت تلك الانتصارات الباهرة والدائمة ضد المتحدين العيلاميين والاقوام التي كانت تتاخم حدودنا الشرقية والشمالية الشرقية والشمالية الغربية او التحديات التي واجهتها بعض الاقطار العربية ودور الاماجد من القادة المخلصين بكسر شوكتها .

المصادر

١ ـ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، ١٩٧٣ .

٢ ـ مجموعة من الباحثين والاساتذة ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ .

٣ ـ مجموعة من الاساتذة والباحثين ، الصراع العراقي الفارسي ، بغداد ، ١٩٨٣ .

٤ ـ مجموعة من الاساتذة والباحثين ، حضارة العراق ، بغداد ١٩٨٥ .

٥ ـ د . فاضل عبدالواحد علي ، « الاكديون طلائع على الجبهة الشرقية » ، افاق عربية ، ٣ـ٤ ، ١٩٨٠ .

٦ ـ د . فاضل عبدالواحد علي ، « اقدم حرب التحرير عرفها التاريخ » ، سومر ، ٣٠ ، ١٩٧٤ .

٧ ـ د . فاضل عبدالواحد علي ، « وثيقة النصر للملك نبوخذ نصر الاول » ، تاريخ العرب العسكري ، المؤتمر العلمي الاول لجمعية المؤرخين والاثاريين في العراق ٢٢ ـ ٢٦ أيلول ، ١٩٨١ .

٨ ـ د . فاضل عبدالواحد علي ود . فاروق ناصر الراوي ، « دراسة مركزة في نقاط للفكر العسكري العراقي القديم ، عبر الفي عام قبل الميلاد ٢٥٠٠ - ٥٣٩ ق.م » . مركز البحوث والمعلومات ، مجلس قيادة الثورة ، ١٩٨٦ .

٩ ـ د . فاروق ناصر الراوي ، « معارك النصر : سجلاتها في الكتابات المسمارية » ، تاريخ العرب العسكري ، المؤتمر العلمي الاول لجمعية المؤرخين والاثاريين في العراق ، بغداد ـ بابل ٢٢ـ٢٦ أيلول ١٩٨١ .

١٠ـ د . فاروق ناصر الراوي ، « الوثائق المسمارية : شواهد على انتصاراتنا في عيلام » ، بين النهرين العددان ٣٤ ـ ٣٥ ، ١٩٨١ .

١١- د . فاروق ناصر الراوي « التحدي الحضاري للامة » ، الندوة الفكرية الثانية في فكر الرفيق القائد صدام حسين ٥-٥-١٩٨٤ .
١٢- د . فاروق ناصر الراوي ، « الرياضيات : عنصر حضاري متميز في العراق القديم » ، الندوة القطرية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب ، بغـداد ، ١٥ - ١٧/٤/١٩٨٦ .
١٣- طالب منعم حبيب ، « سنحاريب : سيرته ومنجزاته » رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦ .
١٤- رياض عبدالرحمن الدوري ، « اشور بانيبال : سـيرته ومنجزاته » ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦ .
١٥- شيبان ثابت الراوي ، « أشور ناصر بال الثاني : سيرته واعماله » ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦ .
١٦- Brinkman, J.A., **A Political History of Post-Kassite Babylonia**, Rome 1968.
١٧- Contenau, G., **Everyday Life in Babylonia and Assyria**, Arnold, London, 1954.
١٨- Edzard, D.O., **Die 'zweite - Zwischenzeit' Babyloniens**, Harrassowitz, Wiesbaden, 1957.
١٩- Edzard, D.O., **Répertoire Géographique des Textes Cunéiformes** Band 1, 1977, and Band 2, 1974.
٢٠- Falles, F.M., "The Enemy in Assyrian Royal Inscriptions. The Moral Judgement", **MSN**, 2, PP. 425 - 435, 1978.
٢١- Grayson, A.K., **Assyrian Royal Inscriptions**, Harrassowitz, Wiesbaden, 1972-1976.
٢٢- Grayson, A.K., "The Empire of Sargon of Akkad", **Archiv für Orientforschung**, Band 25, 1974-77, PP. 56-64.
٢٣- Grayson, A. K., **Assyrian and Babylonian Chronicles**, J.J. Angustin Publisher. Locust Valley, New York, 1975.
٢٤- Grayson A.K., "Assyria's Foreign Policy in Relation to Elam in the Eighth and Seventh Centuries B.C.", A paper delivered at the Third International Symposium on Major Archaeological Projects in Babylon, Ashur, Haditha and Himrin, Baghdad, November, 1981.

Hall, J.D., **An Analysis of Power in Assyrian Palace Relief Sculptures**, Unpublished Thesis, Australia, 1985. -٢٥

Hinz, W., **The Lost World of Elam, Recreation of a Vanished Civilization**, Translated by J. Barnes, New York, 1973. -٢٦

Jacobsen, Th., **The Sumerian King List**, Assyriological Studies, 2., University of Chicago Press, 1939. -٢٧

King, L.W., **Babylonian Bowndary - Stones and Memorial - Tablets in the British Museum**, Oxford University Press, London, 1912. -٢٨

Kramer, S.N., **The Sumerians, Their History, Culture and Character**, The University of Chicago Press, 1963. -٢٩

Luckenbill, D.D., **Ancient Records of Assyria and Babylonia**, Greenwood Press, Publishers, New York, 1968. -٣٠

Nissen, H.J. and Renger, J., **Mesopotamien und Seine Nachbarn, Politische und Kulturelle, (MSN).** -٣١

Postgate, J.N., "The Historical Geography of the Himrin Bosin", **Sumer**, Vol. 35, PP. 591-594. -٣٢

Potts D., "The Zagros Frontier and the Problem of Relations between the Iranian Plateau and Southern Mesopotamia in the Third Millennium B.C.", **MSN**, 1, PP. 33 - 55. -٣٣

Roux, G., **Ancient Iraq**, A Pelican Book, Great Britain, 1972. -٣٤

Saggs, H.W.F., **The Greatness that was Babylon**, Sidgwick and Jackson, London, 1966. -٣٥

Saggs, H.W.F., "Assyrian Warfare in the Sargonid Period", **IRAQ**, 25, 1963, PP. 145-154. -٣٦

Saggs, H.W.F., **The Might that was Assyria**, London, 1984. -٣٧

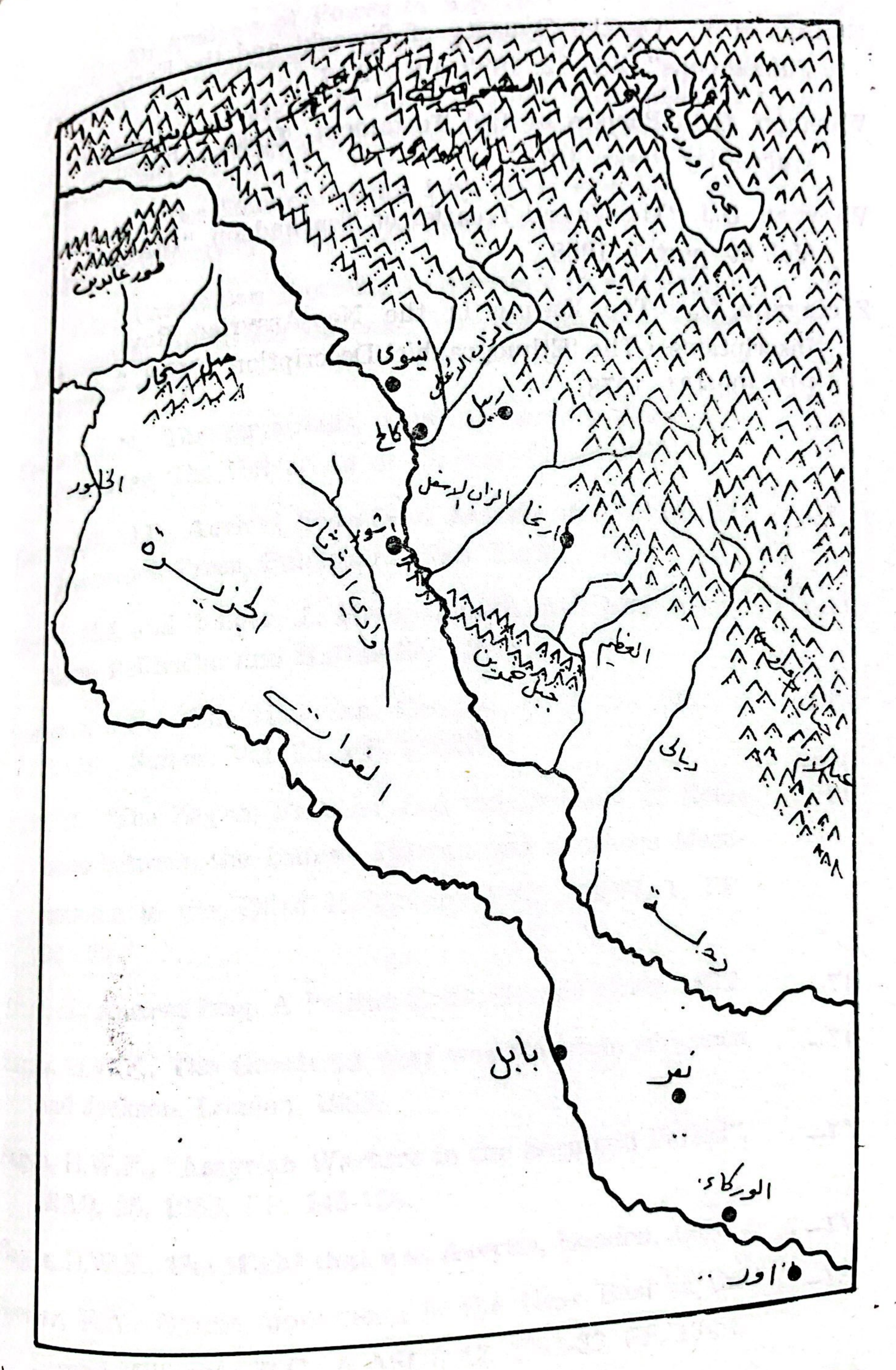
Speiser, E.A., Ethnic Morements in the Near East in the Second Millenium B.C., **A ASOR** 13, 1931-32, PP. 13-54. -٣٨

٣٩- Stolper, M.W. "On the Dynasty of Šimaski and the Early Sukkalmaḫs", **ZA**, 72, 1982, PP. 42-67.

٤٠- Wiseman, D.J., **Peoples of Old Testament Times**, Oxford University Press, 1973.

٤١- Wiseman, D.J. "The Vassal Treaties of Esarhaddon, "**IRAQ**, Vol. 20, part 1, 1958.

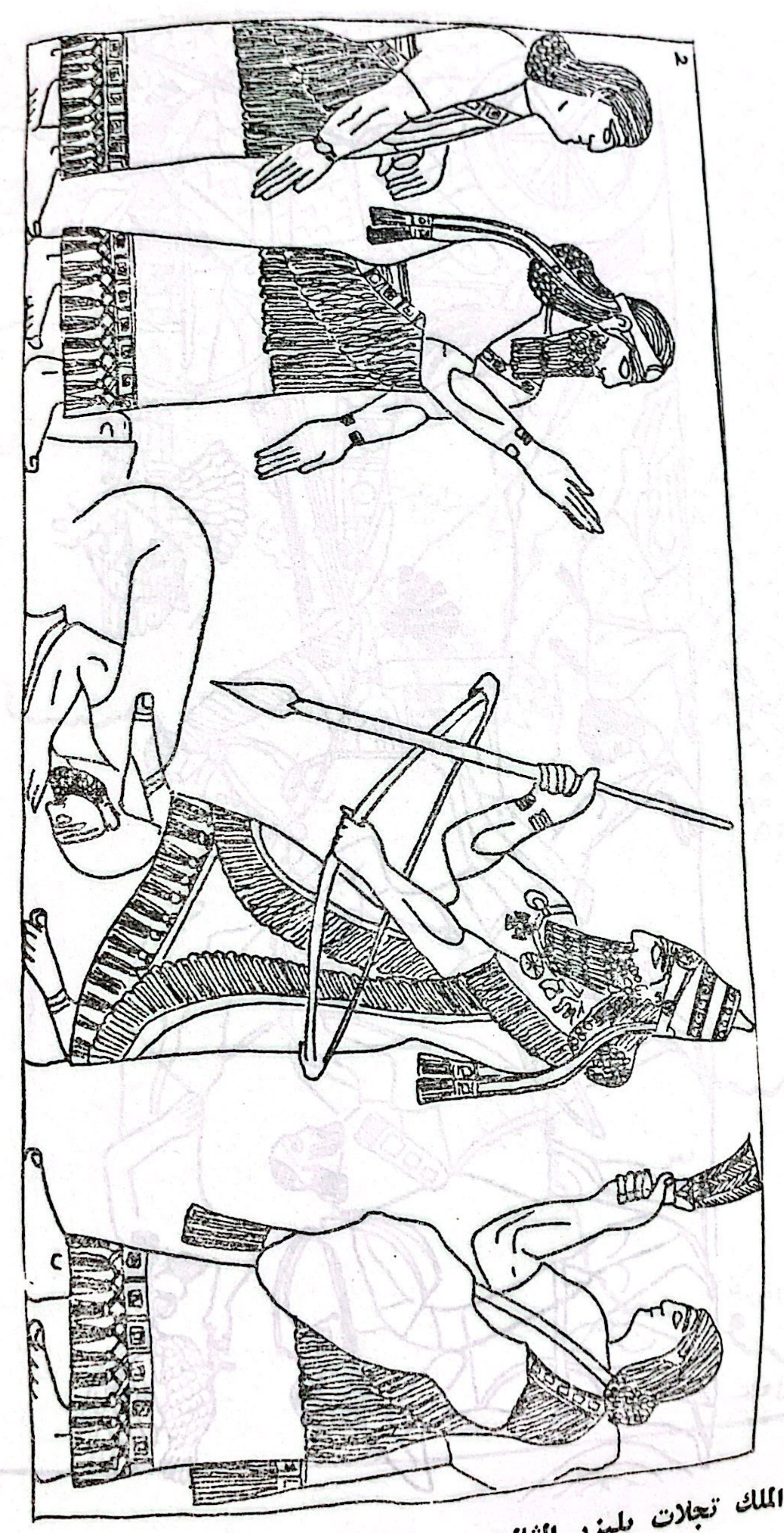
٤٢- Zaccagnini, C., "The Enemy in the Neo-Assyrian Royal Inscriptions : The 'Ethnographic' Description", **MSN**, 2, PP. 409-424, 1978.



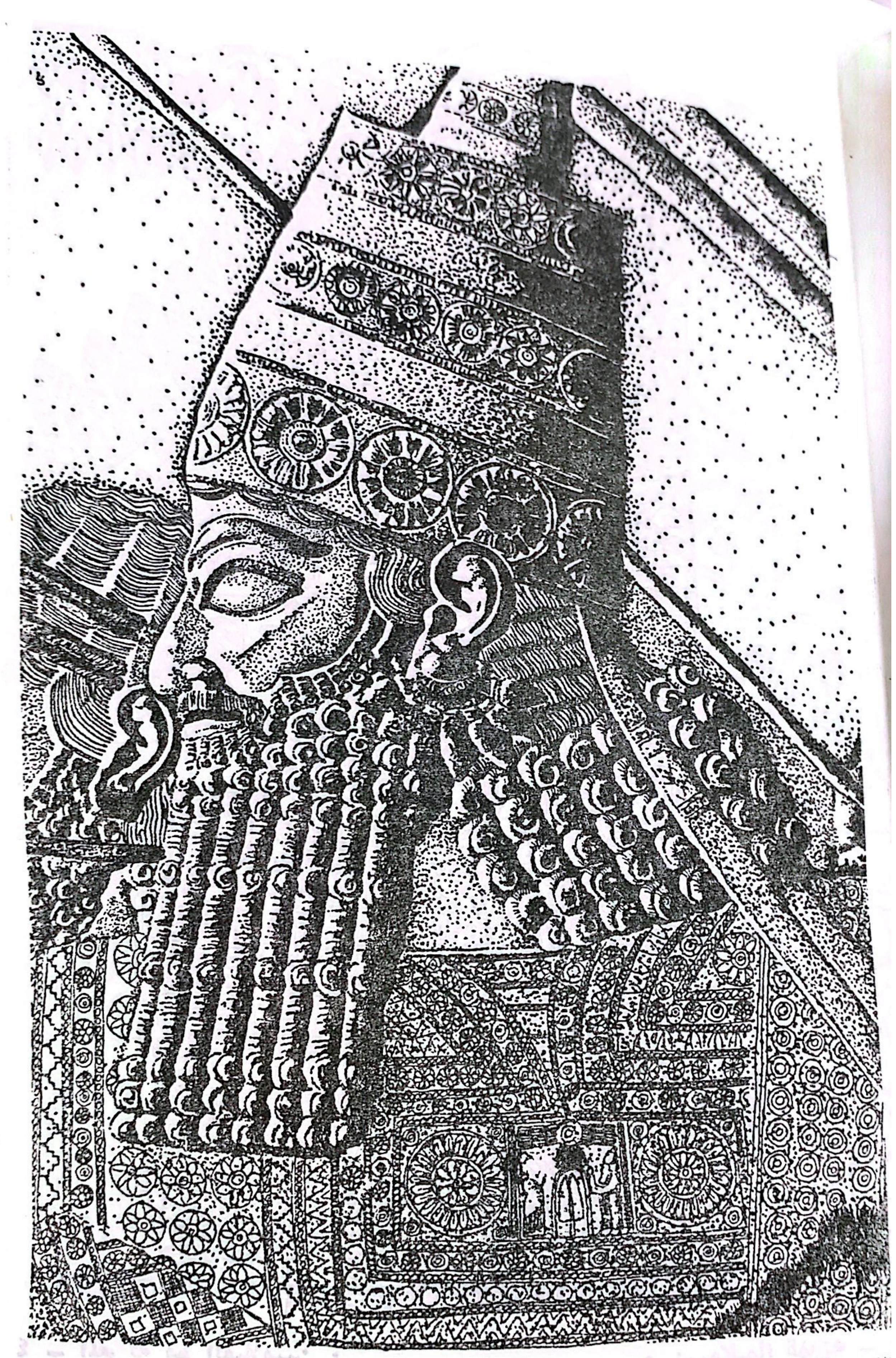
طور عابدين
جبل سنجار
الخابور
نينوى
كالح
اربيل
الزاب الأعلى
الزاب الأسفل
آشور
أرابخا
الجزيرة
وادي الثرثار
جبل حمرين
العظيم
ديالى
الفرات
دجلة
بابل
نفر
الوركاء
أور



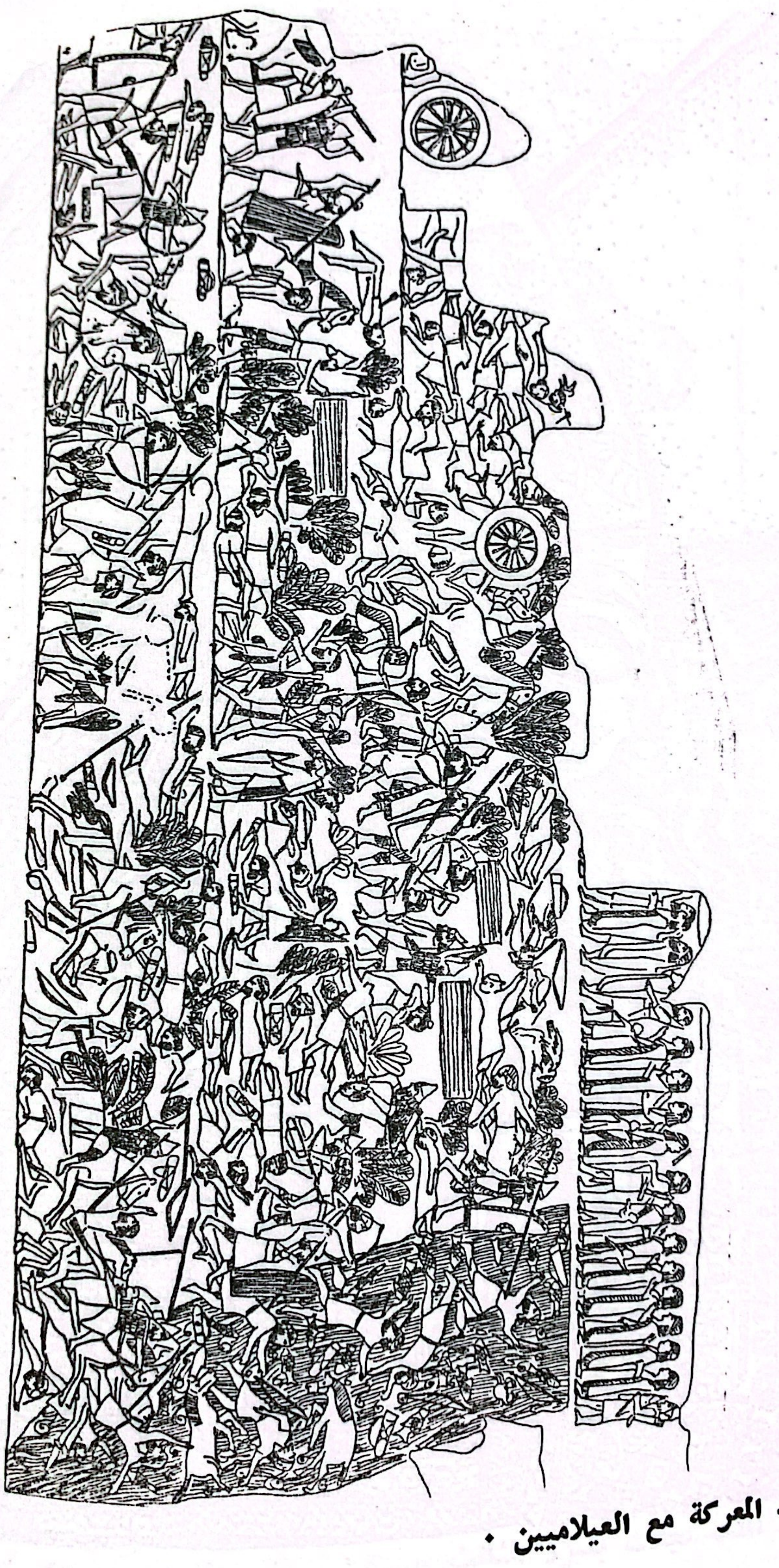
١ - الملك اشور - ناصر - بال الثاني في المعركة



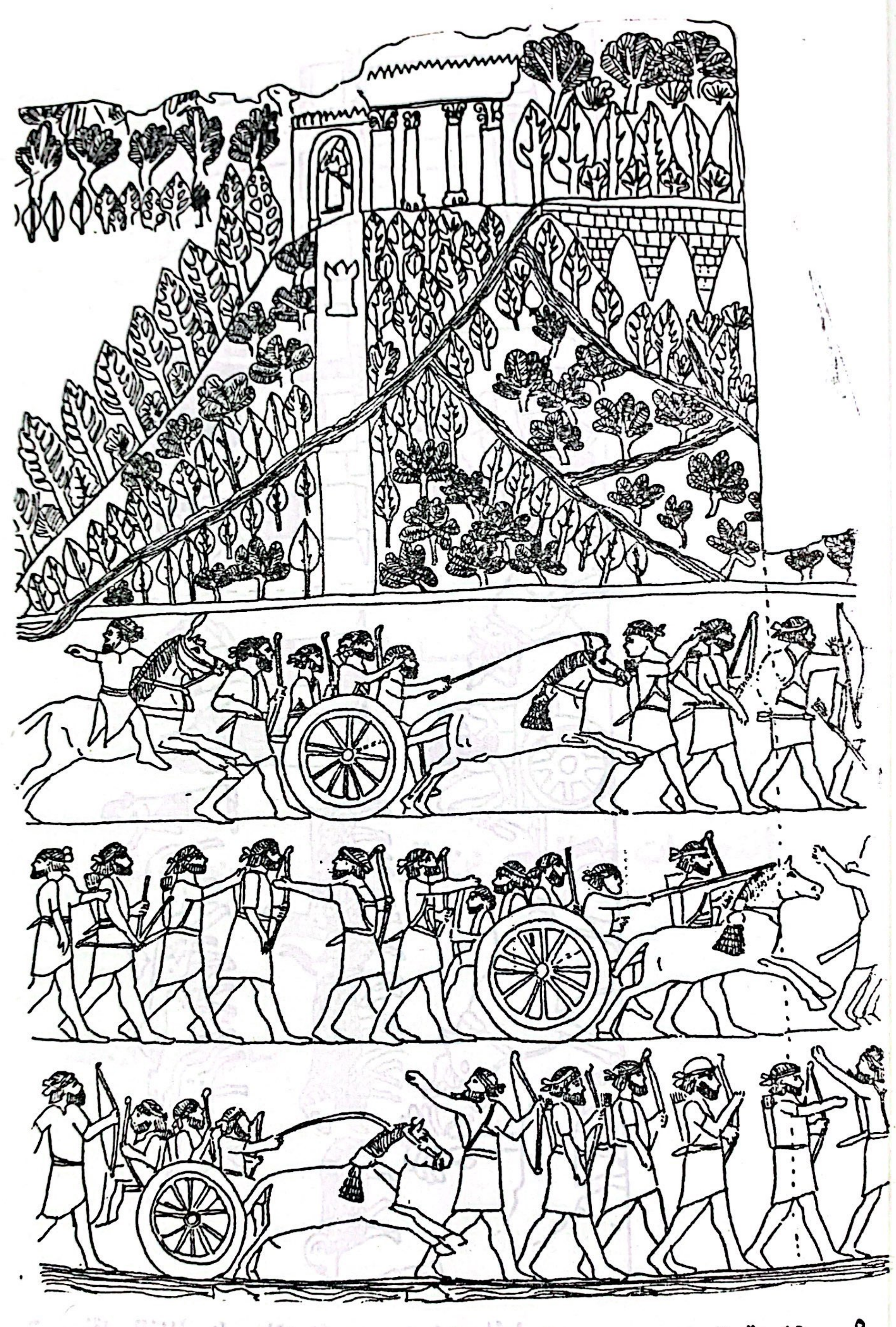
٢ ـ الملك تجلات بليزد الثالث يستقبل بعض الملوك بعد المعركة .



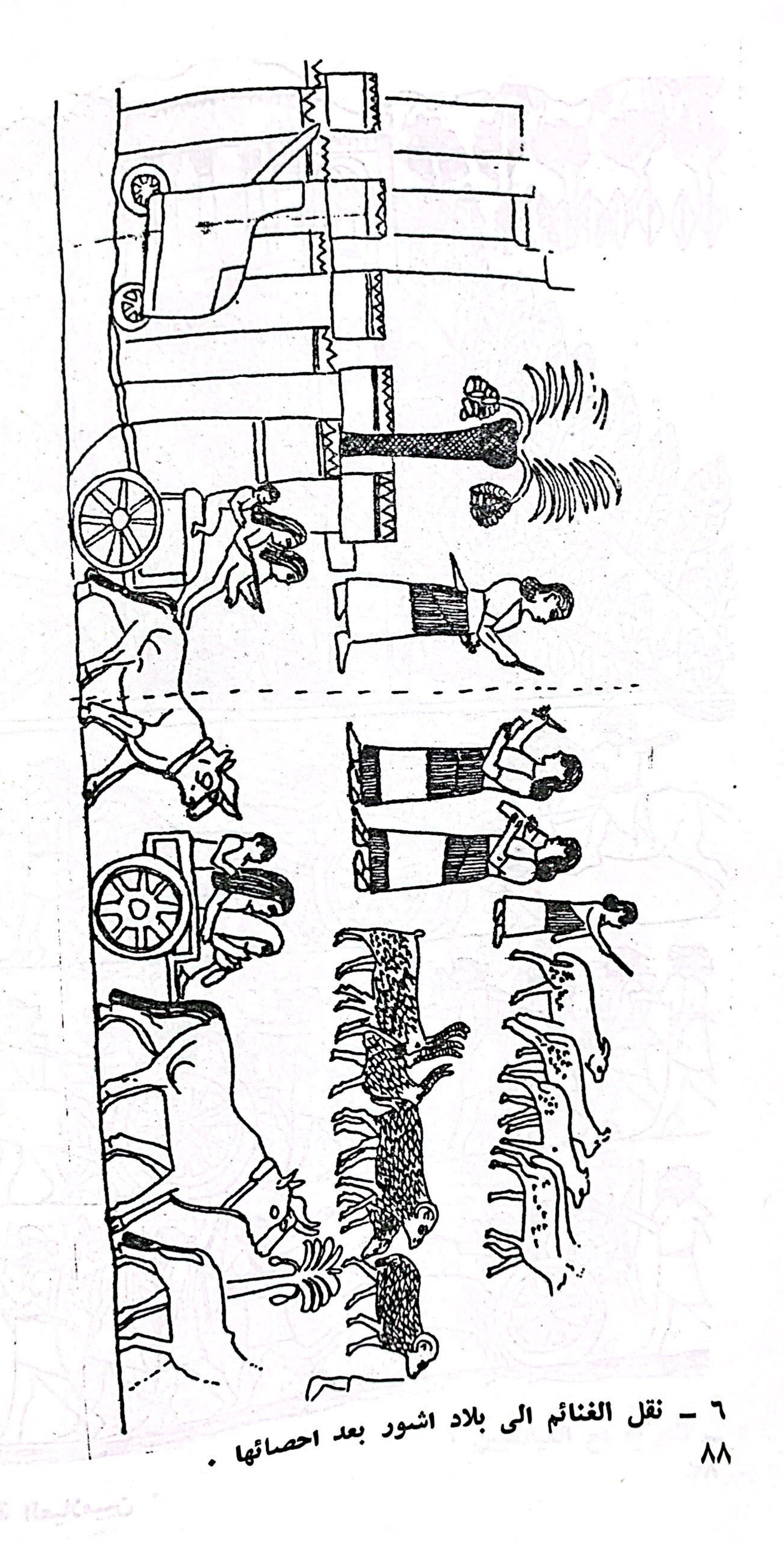
٣ – اشور – بانيبال .



٤ - المعركة مع العيلاميين .



٥ – هزيمة العيلاميين .



٦ – نقل الغنائم الى بلاد اشور بعد احصائها .